

التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية في قوله تعالى

((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ))

الدكتورة نجاة سعد محمد البكوش

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية

كلية الآداب . جامعة بنغازي

2017 . 2018

ملخص البحث

استشهد بعض النحويين بقراءة رفع الفعل في قوله تعالى ((لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)) على جواز رفع الفعل بعد أن الخفيفة؛ فاهتمّ البحث بتوثيق القراءات القرآنية التي جاءت في الآية، وتتبع مواضع الاستشهاد بها في كتب النحو، وتوصل إلى نتائج أهمها أن قراءة رفع الفعل (يتم) قراءة أحدثها خطأ النحويين بالتحريف في أثناء نقل النصوص؛ فضلا عن خلو أصول النحو من أن يأتي رفع الفعل بعد أن دون فاصل في غير سياق اليقين والإيجاب.

Research Summary

Some of the grammarians cited reading the lifting of the verb in

قوله تعالى ((لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ))

attend to research ; ((أن)) on the permissibleing to verb raising after documented the Koranic readings that came in the verse, and follow the places cited in the grammar books, and reached the most important is most frequently reading by (يتم) results that reading The verb grammatical misrepresentation in the course of the transmission of texts; as well as the originality of the grammar of the verb to come up after that without a bar in the context of certainty and affirmation.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد... فمعلوم أنّ القراءات القرآنية لقيت عناية واضحة عند النحويين؛ فاستشهدوا بها على استعمالات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، وكانت قراءة رفع الفعل في قوله تعالى ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) إحدى القراءات التي جاءت في كتبهم؛ لتؤيد الاستشهاد بجواز مجيء فعل مرفوع بعد أن الخفيفة.

وجدير بالذكر أنّ ما دفعني للبحث في هذه القراءة دراسة عنوانها: موقف ابن عقيل المصري (ت. 769 هـ) من القراءات القرآنية، حيث ذكر الباحث فيها أنّ ابن عقيل استشهد بشاهد شعري على مجيء الجملة الفعلية وفعلها متصرف غير دالّ على الدعاء بعد أن المخففة من الثقيلة دون فاصل، وأنّه عزّز هذا الشاهد بقراءة قرآنية لقوله تعالى ((لمن أراد أن يتم الرضاعة)) برفع يتم. (ماهر خضير هاشم، 2010 : المجلد 18، العدد 2) وكأنّ ابن عقيل — رحمه الله — أول من استشهد بهذه القراءة !

ومن هنا كان الهدف .. من دراسة التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية في قوله تعالى ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) — الوصول إلى حقيقة هذه القراءة، من حيث توثيقها، وموطن الاستشهاد بها في كتب النحويين؛ فتلخّصت مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

1. إلى من ترجع نسبة قراءة رفع الفعل في قوله تعالى : ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) ؟
 2. هل يُعَدُّ ابن عقيل أول من استشهد بقراءة رفع الفعل في قوله تعالى : ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) من النحويين؟
 3. هل تُعَدُّ قراءة رفع الفعل في قوله تعالى : ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) أصلاً بُني عليه قاعدة نحوية؟
 4. هل عُرِضَ موطن الاستشهاد المتمثل في رفع الفعل بعد أن الخفيفة في كتاب سيبويه [الذي يعد أول سفر مكتوب وصل إلينا في صورة تكاد تكون كاملة في العربية]؟
- ولكل ما سبق قُسِمَ البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توثيق القراءات في قوله تعالى:

((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) ، وتوجيهها.

المبحث الثاني: قراءة رفع الفعل ((يُتِمُّ)) عند النحويين.

المبحث الثالث: موطن الاستشهاد بقراءة الرفع في:

الفعل ((يُتِمُّ)) في كتب النحو.

وختمَ البحث بأهم النتائج التي وصل إليها.

المبحث الأول: توثيق القراءات في قوله تعالى ((أن يتم الرضاعة)) ، وتوجيهها.

التوثيق في اللغة مصدر قياسي للفعل وثَّق، ومنه وثَّقتُ فلانا إذا قلت: إنَّه ثقة، من وثَّق؛ أي اتَّمتن. (ابن منظور، مادة و ث ق) وفي مناهج البحث يصدق على إشارة الباحث إلى مصدر المعلومات بطرائق معينة، (الجبوري، 1993: 51 - 52) وتوثيق القراءة القرآنية نسبتها إلى قارئها، إن أمكن ذلك، فضلا عن الإشارة إلى المصدر الذي وردت فيه. أما التوجيه؛ فهو مصدر قياسي للفعل وجَّه، ومعناه في المعجم اللغوي من "وَجَّهْتُ الشيء: أرسلته في جهة واحدة؛ فتوجَّه،" (الراغب الأصفهاني، 2003: 529) ويقال: خرج القوم؛ فوجَّهوا للناس الطريق توجيهها، إذا وطَّئوه وسلَّكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه. (ابن منظور، مادة و ج ه) وهذا يعني أنَّ التوجيه إرسال الشيء على جهة واحدة، حتى تتضح وجهته، وهذا المعنى موجود في دلالة المصطلح؛ إذ "يراد به في النحو بيان أنَّ رواية البيت أو القراءة القرآنية لها وجه في العربية، وموافقة لضوابط النحو." (د. محمد إبراهيم عبادة، 2001: 250) والقراءة القرآنية "في الاصطلاح مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه." (الزرقاني، 1988: 1 / 410) وذكر بعض العلماء أنَّ القراءات ثلاثة: متواترة، وأحاد، وشاذة، وجعلوا المتواتر السبع، والآحاد الثلاث المتممة لعشرها، والشاذ ما بقي من القراءات. (مناع القطان، 1995: 175) وجاءت قراءات في قوله تعالى، ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) شذت عن المتواتر في الآية الكريمة من سورة البقرة؛ قال تعالى: ((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلَها وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلُهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) (آية 231)

ولعله من المفيد هنا ملاحظة أنَّ هذه الآية تعطى نموذجاً لحسن التعامل بين الزوجين المنفصلين عن بعضهما ولديهما طفل رضيع؛ فأساس العلاقة بينهما أنه لا ضرار فيها؛ فَعَيَّنَتِ الحد الأقصى، لفترة الرضاعة بحولين كاملين مع التراض، والتشاور؛ ففي قوله ((لمن أراد أن يتم الرضاعة)) دليل "على أن الإرضاع في الحولين ليس بحد لا يتعدى، وإنما ذلك لمن أراد الإتمام، أما من لا يريد له فطم الولد دون بلوغ ذلك، إذا لم يكن فيه ضرر للولد." (أبوحيان الأندلسي، 1993: 2 / 222)

وجمع أبوحيان الأندلسي، (ت. 745 هـ) القراءات التي وردت فيها؛ فقال: "وقرأ الجمهور ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) بالياء من أتم، ونصب الرضاعة، وقرأ مجاهد، والحسن، وحמיד، وابن محيص، وأبو رجاء ((تتم)) بالتاء، من تم، ورفع الرضاعة، وقرأ أبوحنيفة، وابن أبي، عيلة، والجارود بن أبي، سيرة كذلك، إلا أنهم كسروا الراء من الرضاعة، وهي لغة، كالحضارة والحضارة، والبصريون يقولون بفتح الراء مع الهاء، ويكسروها دون الهاء، والكوفيون يعكسون ذلك، وروى عن مجاهد أنه قرأ ((الرضعة)) على وزن القصعة، وروى عن ابن عباس أنه قرأ ((أن يكمل الرضاعة)) بضم الياء، وقرئ ((أن يتم)) برفع الميم، ونسبها النحويون إلى مجاهد، وقد جاز رفع الفعل بعد "أن" في كلام العرب في الشعر." (أبوحيان الأندلسي، 1993: 2 / 223)

أولا التوثيق:

- 1 - ((الرِّضَاعَةُ)) قرئت بكسر الراء. (ابن خالويه: 21) قال الفراء (ت. 207هـ): "القراء تقرأ بفتح الراء، وزعم الكسائي، أنَّ من العرب من يقول الرِّضَاعَةُ بالكسر؛ فإن كانت فهم بمنزلة الوكالة والوكالة، والدلالة والدلالة، ومهتر الشيء مهارة ومهارة، والرِّضَاع والرِّضَاع، فم مثل ذلك إلا أن فتح الراء أكثر، ومثله الحصاد والحصاد." (الفراء، 1980: 1 / 149). وقال أبو جعفر النحاس (ت. 338 هـ): "لا يعرف البصريون الرِّضَاعَةَ إلا بفتح الراء والرضاع بكسر الراء مثل القتال، وحكى الكوفيون كسر الراء مع الهاء، وفتحها بغير هاء." (النحاس: 1 / 156).
 - 2 - ((الرِّضَاعَةُ)) قرئت رَضْعَةً، على مثال قَصْعَةٍ، قراءة شاذة ذكرها ابن خالويه (ت. 370 هـ). (ابن خالويه: 21) (أبوحيان الأندلسي، 1993: 2 / 223)
 - 3 - ((يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) قرئت تَتَمَّ الرضاعة، من الفعل تَمَّ، بفتح التاء الأولى ورفع الرضاعة بعدها؛ وهم من الشواذ؛ ذكرها أبو جعفر النحاس (ت. 338 هـ) (النحاس: 1 / 156) وذكرها الأهوازي (ت. 446 هـ) منسوبة إلى ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن (ت. 123 هـ). (الأهوازي، 1427 هـ: العدد: 23، 111).
 - 4 - ((يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) قرئت بفتح الياء من الفعل تَمَّ، ورفع الرضاعة بإسناد الفعل إليها؛ (البناء، 2001: 204) وذكر أبو جعفر النحاس (ت. 338 هـ) جواز قراءة ((يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) بفتح الياء ورفع الرضاعة؛ لأنها في معنى الرضاع. (النحاس: 1 / 156)
 - 5 - نُقِلَ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قراءة ((أَنْ تُكْمَلُوا الرِّضَاعَةَ)) (ابن خالويه: 21) و((أَنْ يَكْمَلَ الرِّضَاعَةَ)) بضم الياء، (الزمخشري، 1 / 278) (أبوحيان الأندلسي، 1993: 2 / 223) من الفعل أكمل.
 - 6 - ذكر الزمخشري (ت. 528 هـ) قراءة "رفع الفعل تشبيها لـ (أَنْ) بـ (مَا) لتأخيهما في التأويل." (الزمخشري، 1 / 278) وذكر أبو حيان أنَّ النحويين نسبوها إلى مجاهد، (أبوحيان الأندلسي، 1993: 2 / 223) ولعله ابن جبر المكي المقرئ المفسر (ت. 103 هـ). (ينظر: مقدمة التحقيق/ أبوحيان الأندلسي، 1993: 1 / 19) (د. أحمد العمراني، 2011: 8 / 219)
- والعلماء صنّفوا القراءات؛ فابن جني (ت. 392 هـ) جعلها نوعين: الأولى: قراءات مقبولة وهي ما ضمّنه ابن مجاهد في كتابه السبعة، وقراءات شاذة، وهي ما خرج عن السبعة لابن مجاهد، (ابن جني، 2004: 1 / 32). ومن العلماء من "وضع ضابطا للقراءات المقبولة ذا ثلاثة شروط؛ أحدها موافقة القراءة لرسم أحد المصاحف العثمانية، ولو تقديرا، والثاني موافقتها العربية ولو بوجه، والثالث صحة إسنادها ولو كان عمّن فوق السبعة والعشرة من القراء المشهورين." (د. صبحي الصالح، 1979: 255). ومما سبق يمكن ملاحظة الآتي:

1. قراءة رفع الفعل في، ((أن يتم)) لم تنسب في، كتب القراءات وتفسير القرآن.
2. قراءة رفع الفعل في، ((أن يتم)) يمكن إدراجها ضمن القراءات التي لم تنقل بإسناد صحيح؛ فهي، مردودة ولا تُعد قرآناً.
3. القراءات التي جاءت في قوله ((أن يتم الرضاعة)) كلّها قراءات شاذة.

ثانياً التوجيه

يُعنى توجيه القراءات ببيان وجوهاها من حيث اللغة والإعراب والمعنى، وتوجيه قراءة كسر الراء من الرضاعة لغة ذكرها الفراء (ت. 207هـ) مزعومة من قبل الكسائي عن العرب.

لم يذكر الفراء كسر الراء قراءة؛ وهي عند ابن خالويه (ت. 370 هـ) قراءة شاذة، (ابن خالويه: 21) (أبوحيان الأندلسي، 1993 : 2 / 223) والمتواتر فتحها، وتفسير لغة الكسر أن من العرب من يلحقها بالمصادر الدالة على حرفة، مثل الزراعة والحياسة والكتابة، إذ يذكر الصرفيون أن "الغالب في الحِرَف وشبهها من أي باب كانت الفِعَالَةُ بالكسر، كالصِّياغة والحياسة والخياطة والتجارة والإمارة، وفتحوا جوازاً في بعض ذلك، كالوَكالة والدَّلالة والولاية؛" (الرضي الأستراباذي، 1982 : 1 / 153 — 154). فالفعل الثلاثي، إن دلَّ على حرفة فالغالب في، مصدره أن يكون على وزن فعالة. وكأنَّ في، جواز الفتح دليل على، أنَّ هذه المصادر لا تكون دالة على حِرَف في، الأحيان كلها؛ فمثلاً الرضاعة تكون دالة على، حرفة إن أرضعت الأم غير مولودها بمقابل ماله، فضلاً عن أنَّ الأم المطلقة ترضع مولودها بمقابل ماله، من أبيه. ولا تكون دالة على، حرفة إن أرضعت مولودها وهي، في، عصمة أبيه؛ ودليل ذلك فعل الاسترضاع الوارد في، الآية ((وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف)) فالزيادة في، استرضع دالة على، طلب الإرضاع، "والاسترضاع أصله طلب إرضاع الطفل؛ أي طلب أن ترضع الطفل غير أمه،" (ابن عاشور : 2 / 439) ومعنى، قوله ((إذا سلمتم ما آتيتكم)) "إذا سلمتم إلى، المراضع أجورهن، فالمراد بما آتيتكم: الأجر." (ابن عاشور : 2 / 440) وهنا يمكن الزعم بأنَّ الرضاعة بكسر الراء مصدر يُطلق على مدلول الحرفة، والرضاعة بفتح الراء مصدر سماعي من الفعل الثلاثي.

أما توجيه قراءة رَضْعَة على، وزن فَعْلَة فهي، مصدر من الفعل رَضِعَ؛ وعلى، مثال مصدر المرة الذي يتضمن دلالة حدوث الفعل مرة واحدة. قال العكبري (ت. 616 هـ) : "ويقرأ الرَضْعَة بغير ألف على، لفظ الواحدة، وفيه بعد؛ لأنَّ الرَضْعَة هي، المرة الواحدة ليست تامة، إلا أن يُنزلها منزلة الجنس، أو يكون أوقع الواحد موقع الجمع." (العكبري، 1996 : 251) ويمكن ملاحظة تناسب دلالة مصدر المرة مع مدة الرضاعة المنصوص عليها، وهي، حولان كاملاً؛ فالرضاعة المحددة بحولين كاملين كأنها رضعة واحدة، وإن أرضعت الأم بعد الحولين لا يُعد رضاعاً. ويتأكد ذلك بنص مدونة الإمام مالك بن أنس (ت. 197 هـ) رحمه الله؛ إذ سئل في، كتاب الرضاع "أرأيت الصبي، إذا فُصل فأرضعته امرأة بلبنها بعد ما فُصل أ يكون هذا رضاعاً أم لا ؟ ... قال مالك: الرضاع حولان وشهر أو شهران بعد ذلك." [وسئل أيضاً أ يكون رضاعاً] إن لم تفصله أمه فأرضعته ثلاث سنين ثم أرضعته امرأة بعد ثلاث سنين والأم ترضعه لم تفصله؟ قال مالك: لا يكون هذا رضاعاً، ولا يلتفت في، هذا إلى، رضاع أمه، إنما ينظر في، هذا إلى، حولين وشهر أو شهرين من بعد الحولين." (مالك: 407 / 2) وهذا يعني "أن الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب إنما هي ما كان في الحولين؛

لأن بانقضاء الحولين تمت الرضاعة. (ابن عطية، 2007: 1 / 571) ومما سبق، يفهم أن ما قبل الحولين رضاع كأنه رضعة واحدة، وما بعد الحولين زائد على الرضعة الواحدة، وهذا يتناسب مع قراءة ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ))، ويمكن أن يكون رضعة مصدرا كسائر المصادر التي تأتي على وزن فَعَلَة، نحو رحمة، وشدة؛ فيخلو من دلالة المرة.

وتوجيه قراءة تَتَمَّ الرضاعة، بفتح التاء من الفعل ورفع الرضاعة: الفعل تَتَمَّ فعل لازم، والرضاعة فاعله، وقراءة الجمهور من الفعل المتعدي أَتَمَّ. وكذلك قراءة يَتَمَّ الرضاعة، بفتح الياء من الفعل ورفع الرضاعة: الفعل يَتَمَّ فعل لازم، والرضاعة فاعله، وهنا يجوز مجيء المضارع من دون تاء التأنيث مع الفاعل الرضاعة، لأنها تضمنت معنى الرضاع؛ فضلا عن أَنَّ الرضاعة مجازي التأنيث؛ وجائز أن يؤنث الفعل معها (ينظر: ابن هشام، 1996: 1 / 207) وتوجيه يُكْمَل معناه يُتَمَّ. أما قراءة رفع الفعل ((يُتِمَّ)) ففي توجيهيها قولان: الأول: أَنَّ أن مصدرية مهملة، والآخر: أن مخففة من الثقيلة. وهذه القراءة هي التي ذكرها الزمخشري وتناقلها بعده النحويون في كتبهم، وأخذت حيزا من تحليلاتهم.

المبحث الثاني: قراءة رفع الفعل ((يُتِمَّ)) عند النحويين.

نسب الزمخشري (ت. 528 هـ) في مَفْصَله قراءة رفع الفعل ((يُتِمَّ)) في قوله تعالى ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) إلى مجاهد؛ فقال: "وبعض العرب يرفع الفعل بعد أن تشبيها بما، قال:

أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا مَنِ السَّلَامُ وَأَنْ لَا تَشْعُرَا أَحَدَا

وعن مجاهد ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) بالرفع. " (ابن يعيش: 8 / 143) فهل كان يقصد مجاهد بن جبر المكي، المقرئ المفسر التابعي (ت. 103 هـ) ؟ أم يقصد ابن أصبغ بن حسان، وهو أبو الحسن البجلي، مؤرخ وأديب أندلسي، (ت. 382) ؟ (الزركلي، 2002: 5 / 277 — 278) وعَقَّب الخوارزمي، (ت. 617 هـ) على كلام الزمخشري؛ فقال: "قال المشرِّح: ((يُتِمَّ)) بضم التاء والرضاعة بالنصب. (الخوارزمي، 1990: 4 / 128) ولعل قول الأخير فيه خطأ بالتحريف؛ لأنَّ الفعل يُتِمُّ بضم التاء على وزن يُفْعُلُ مردود؛ فالثلاثي المزيد بهمزة في أوله (أفعل) مضارعه يُفْعِلُ.

وأحسب أَنَّ المشرِّح أراد ((تَتَمَّ)) بضم تاء المضارعة؛ لأنَّ نصب الرضاعة على المفعولية يكون بضم حرف المضارعة الياء أو التاء. وهذا يعطى إشارة إلى افتراض حدوث خطأ في نقل النحويين، ويتمثل هذا الافتراض في تحريف دلالة قراءة الرفع في قوله تعالى ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) إذ يمكن أن يُفسَّر موضع الرفع في كلمة ((الرضاعة)) وهو قراءة منسوبة لابن محيصن في الشواذ، ويمكن أن يُفسَّر موضع الرفع في كلمة ((يُتِمَّ)) ومن ثَمَّ حاول النحويون إيجاد تأويل للرفع بما يتناسب مع قواعدهم، ويؤيد صحة افتراض خطأ النحويين خلَّو كتب النحو قبل الزمخشري من هذه القراءة.

وفي مسألة إعمال أن المصدرية محذوفة من غير بدل ذكر أبو البركات الأنباري (ت. 577 هـ) احتجاج البصريين على امتناع إعمال أن المصدرية النصب مع حذفها، وهي من عوامل الأفعال، وامتناع إعمال أن المشددة النصب مع حذفها، وهي من عوامل الأسماء، كما ذكر ضعف أن الخفيفة؛ فقال: "والذي يدل على ضعف عمل أن الخفيفة أنه من العرب من لا يعملها مظهرة ويرفع ما بعدها تشبيها لها بما؛ لأنها تكون مع الفعل بعدها بمنزلة المصدر كما أن (ما) تكون مع الفعل بعدها بمنزلة المصدر، ألا ترى أنك تقول: يعجبني، أن تفعل؛ فيكون التقدير يعجبني، فعلك، كما تقول: يعجبني، ما تفعل؛ فيكون التقدير يعجبني، فعلك، فلما أشبهتها من هذا الوجه شَبَّهَتْ بها في ترك العمل، وقد روى ابن مجاهد أنه قرئ ((المن أراد أن يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) بالرفع، وقال الشاعر:

يَا صَاحِبِي فَدَتْ نَفْسِي نُفُوسَكُمَا وَحَيْثُمَا كُنْتُمَا لَا قِيَّتُمَا رَشْدَا
أَنْ تَحْمِلَا حَاجَةً لِي خَفَّ مَحْمِلُهَا وَتَصْنَعَا نِعْمَةً عِنْدِي بِهَا وَيَدَا
أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا مِنِّي السَّلَامَ وَأَلَّا تُشْعِرَا أَحَدَا

فقال: (أن تقرأ) فلم يعملها تشبيها لها بما. (الأنباري، 1961: 563) وجدير بالذكر أن هذه الأبيات بلا نسبة في كتب النحويين. (د. إميل يعقوب، 1996: 2 / 178)

ومما يلاحظ في نص أبي البركات الأنباري مخالفته الزمخشري في نسبة القراءة؛ حيث نسبها لابن مجاهد، وتبعه في ذلك البغدادي (ت. 1093 هـ)؛ (البغدادي، 1973: 1 / 137) فهل كان يقصد أبا بكر أحمد بن موسى، بن العباس بن مجاهد (ت. 342 هـ) كبير العلماء بالقراءات، وصاحب كتاب السبعة في القراءات؟ (ينظر: الرزركلي، 2002: 1 / 261)

قال ابن يعيش (ت. 643 هـ): "إن من العرب من يلغى عمل أن تشبيها بما وعلى هذا قرأ بعضهم ((أن يتم الرضاعة)) بالرفع، (ابن يعيش: 7 / 15) وذكر الزملاكان، (651 هـ) غرابية الرفع في هذا الموضع فقال: "وأما ((أن يتم الرضاعة)) بالرفع فغريب محيئه بالقرآن، وتشبيه ما بأن في نحو: (كما تكونوا يولى) أغرب منه. (الزملاكاني، 1424: 257)

أما ابن مالك (ت. 672 هـ) فذكر مباشرة أن المخففة فعلا متصرفا غير دالٍ على الدعاء بعد فعل قلبي، أو في معناه مستدلا بالشاهد الشعري:

عَلِمُوا أَنْ يُؤْمَلُونَ فَجَادُوا قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوا بِأَعْظَمِ سُؤْلِ

وهو بلا نسبة في كتب النحو. (د. إميل يعقوب، 1996: 6 / 399) ويقول الشاعر القاسم بن معن (د. إميل يعقوب، 1996: 2 / 138):

إِنِّي زَعِيمٌ يَا نُؤَيَّةُ إِنْ أَمَنْتِ مِنَ الرَّزَاحِ
وَنَجُوتِ مِنْ عَرَضِ الْمَنُونِ مِنْ الْغُدُوِّ إِلَى الرَّوَّاحِ
أَنْ تَهْبِطِينَ بِلَادِ قَوْمِ يَرْتَعُونَ مِنَ الطَّلَاحِ

علم، نُذِرَة وقوع خبر أن المخففة من الثقيلة جملة فعلية فعلها متصرف غير دعاء، ولم يؤت بفواصل بين أن والجملة؛ ففي قوله: (علموا أن يؤملون ...) بعد فعل قلبي، وفي قوله: (إني زعيم ... أن تهبطين) زعيم وصف يحمل دلالة الفعل زعم.

وذكر ابن مالك (ت. 672 هـ) قراءة إهمال أن في قوله تعالى ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ))، وإهمالها في قول الشاعر: أن تقرأن... مثالين علم، نُذِرَة وقوع خبر أن المخففة من الثقيلة جملة فعلية فعلها متصرف غير دعاء، ولم يؤت بفواصل بين أن والجملة؛ ولم يسبقها فعل قلبي، أو ما في معناه. وفصل أن تأتي، أن الخفيفة بعد فعل قلبي، أو ما في معناه بالسهولة عن إتيانها بغير ذلك، وعرض مذهب البصريين في كون أن — هنا — ليست المخففة؛ وإنما هي الناصبة للمضارع؛ وأهملت حملا لها علم، (ما) المصدرية. كما عرض مذهب الكوفيين في أنها مخففة من الثقيلة مؤداة مذهب الكوفيين؛ حيث قال: "وقول الكوفيين عندي أولى بالصواب؛ فإنه لا يلزم منه إهمال ما وجب له الإعمال." (ابن مالك، 1990 : 2 / 44 - 45)

وقال الرضي (ت. 688 هـ): "وفي حرف مجاهد ((المن أراد أن يتم الرضاعة)) وذلك إما للحمل على المخففة، أو للحمل على ما المصدرية." (الرضي الأستراباذي، 1996 : 4 / 35)

ونسب ابن هشام (ت. 761 هـ) قراءة رفع الفعل ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) إلى ابن محيصن، محمد بن عبد الله (ت. 123 هـ)، وجعلها مثالا لرفع الفعل بعد أن، وعزز تمثيله بقول الشاعر: أن تقرأن... وإصفاً مذهب الكوفيين بالزعم؛ حيث قال: "وزعم الكوفيون أن أن هذه هي المخففة من الثقيلة شد اتصالها بالفعل" مصوباً مذهب البصريين؛ حيث قال: "والصواب قول البصريين: إنها أن الناصبة أهملت حملا على ما أختها المصدرية." (ابن هشام، 1995 : 1 / 38)

وجدير بالتنبيه هنا أن القراءة المنسوبة لابن محيصن بفتح التاء الأولى، ورفع الرضاعة بعدها، وليست برفع الفعل. ولعل هذا يؤيد افتراض حدوث التحريف في نقل النحويين، فالرفع المقصود به في قراءة ابن محيصن رفع الرضاعة، وليس رفع الفعل.

ونقل ابن عقيل (ت. 769 هـ) تفسيرى قراءة رفع الفعل في قوله تعالى: ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) بعد عرض الشاهد علموا أن يؤملون.... وذلك في موضع مجيء خبر أن المخففة جملة فعلية فعلها متصرف دون فاصل؛ فالتفسير الأول: أن مخففة من الثقيلة، والآخر: أن ناصبة للمضارع، وارتفع الفعل بعدها شذوذاً. (ابن عقيل، 2009 : 1 / 179) أما الأشموني (ت. 900 هـ) فقد نسب قراءة رفع الفعل إلى ابن محيصن مستشهداً بها علم، أن من العرب من أهمل إعمال أن؛ فلم تنصب الفعل المضارع بعدها، ولم يتقدمها علم أو ظن، وذكر قول الشاعر: أن تقرأن... ثم عقب بتنبيهه قال فيه: "ظاهر كلام المصنف أن إهمالها مقيس." (الأشموني، 3 / 420 - 421) ويقصد بكلام المصنف قول ابن مالك في ألفيته:

وبعضهم أهمل (أن) حملا على (ما) أختها حيث استحققت عملا

ونقل السيوطي، (ت. 911 هـ) تخرىج قراءة رفع الفعل (يُتِم) علم، إهمال أن حملا علم، أختها ما المصدرية، كما نقل تخرىج رفع الفعل على أن المخففة من الثقيلة، ناسبا التخرىج الأخير إلى الكوفيين. (السيوطي: 2 / 362)

ورفض الصبان (ت. 1206 هـ) رفع الفعل (يُسْتَم)؛ فقال: " إن أصله يُتِمُّون؛ فهو منصوب بحذف النون، وحذفت الواو للساكنين، واستصحب ذلك خطأ، والجمع باعتبار من تكلف." (الصبان: 3 / 420 . 421)

وتحليل الصبان يتناسب مع قراءة أن تكملوا التمه، تنسب لابن عباس رضي الله عنهما. (ابن خالويه: 21) وبعد عرض استشهاد النحويين بقراءة رفع (يُتِم) تتأكد الأمور الآتية:

1. وجود أخطاء في نقل النصوص عند النحويين؛ فالزمخشري نسب قراءة رفع الفعل (يُتِم) لمجاهد، والخوارزمي نقل ضم التاء ونصب الرضاعة، وابن هشام والأشمون، نسباً رفع الفعل لابن محيصن، وابن محيصن قرأ برفع الرضاعة، وأبو البركات الأنباري نسبها لابن مجاهد، ووردت في شرح ابن عقيل غير منسوبة.
2. الزمخشري (ت. 528 هـ) أول من عرض قراءة (يُتِم) برفع الفعل في تفسيره الموسوم بالكشاف؛ وكما هو معلوم أن كتاب الكشاف لم يُعَرَف فيه مؤلفه بتوثيق القراءات ونسبتها. ونسبها في كتابه الموسوم بالمفصل في صنعة الإعراب إلى مجاهد.
3. ذكر أبوحيان الأندلسي (ت. 745 هـ) هذه القراءة في تفسيره الموسوم بالبحر المحيط، ونقل عن النحويين نسبتها إلى مجاهد.
4. يشير عرض تفسير رفع الفعل (يُتِم) في كتب النحو إلى خلاف بين البصريين والكوفيين؛ فابن مالك نسب للبصريين تفسير رفع يتم بإهمال أن الناصبة للمضارع، وللکوفيين بكونها المخففة من الثقيلة، وتبعه ابن هشام في ذلك، غير أن ابن مالك يرى أن رأي الكوفيين أصوب؛ لأنه لا يلزم إهمال ما وجب إعماله، وابن هشام يذكر صواب رأي البصريين دون تعليل.

وبعد... فإذا كان النحويون قبل الزمخشري (ت. 528 هـ) لم يستشهدوا بقراءة رفع الفعل ((يُتِم)) فهل يُعَدُّ رفع الفعل بعد أن أصلا من أصول النحو؟

المبحث الثالث: موطن الاستشهاد بقراءة رفع الفعل ((يُتِم)) في كتب النحو.

يُعَدُّ تخفيف أن ورفع الفعل بعدها مع وجود فاصل أصلا ثابتا في كتاب سيبويه (ت. 180 هـ)؛ حيث يقول: "...وأما قوله: أن بسم الله؛ فإنما يكون علم، الإضمار، لأنك لم تذكر مبتدأ أو مبنيا عليه. والدليل علم، أنهم إنما يخفون علم، إضمار الهاء، أنك تستقيح: قد عرفت أن يقول ذاك، حتّى تقول أن لا، أو تدخل سوف أو السين أو قد. ولو كانت بمنزلة حروف الابتداء لذكرت الفعل مرفوعا بعدها كم تذكره بعد هذه الحروف، كما تقول: إنما تقول ولكن تقول." (سيبويه، 1973 : 3 / 165)

ويقصد بإضمار الهاء ضمير الشأن يكون محذوفاً، وهو اسم أن المخففة من الثقيلة، أما خبرها فهو جملة. وإن وليها فعل متصرف فالفاصل — لا ، أو تدخل سوف، أو قد. كما ذكر استقبح رفع الفعل بعد أن المخففة من الثقيلة دون فاصل، واستشهد علم، وجوب الفاصل بقوله تعالى: ((عَلَّمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضِعٌ)) (المزمل : 18) وقوله: ((أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا)) (طه : 87) وقوله: ((لَلَّأَيُّهَا أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ)) (الحديد : 28) وموطن الشاهد في الآيات مجيء أن مخففة من الثقيلة جاءت بعد فعل دالّ علم، اليقين، واسمها ضمير الشأن محذوف، وخبرها جملة فعلية فعلها مضارع مرفوع، دخلت عليه السين في الآية الأولى، وحرف النفع، في الآيتين الثانية والثالثة. واستبعاداً لتشبيهها بأن المصدرية ذكر سيبويه قراءة شاذة تؤيد كلامه؛ فقال: "وزعموا أنها في مصحف أبي، ((أَنْهُمْ لَا يَقْدِرُونَ)) وليست أن التمه، تنصب الأفعال تقع في هذا الموضع؛ لأنّ ذا موضع يقين وإيجاب." (سيبويه، 1973 : 3 / 166) والمعنى أن المخففة من الثقيلة فيها دلالة التأكيد، فالأمر ثابت؛ وذلك لدلالة الجملة الاسمية على الثبات، ورفع الفعل بعد أن دليل على أنها مخففة من الثقيلة.

كما يفهم من كلام سيبويه أنه إذا جاء بعد أن فعل منصوب فالجملة فعلية دالة علم، التجدد والحركة، ويتأكد هذا الفهم من قول سيبويه: "تقول: كتبت إليه أن لا تقل ذلك، وكتبت إليه أن لا يقول ذلك، وكتبت إليه أن لا تقول ذلك. فأما الجزم فعلم، الأمر، وأما النصب فعلم، قولك: لئلا يقول ذلك، وأما الرفع فعلم، قولك: لأتلك لا تقول ذلك أو بأنك لا تقول ذلك، تخبره بأنّ ذا قد وقع من أمره." (سيبويه، 1973 : 3 / 166)

وجدير بالذكر هنا أنّ سيبويه وضع معياراً للتقريب بين المخففة والمصدرية الناصبة للمضارع؛ فإن دلّ الفعل الذي قبلها علم، اليقين فهم، مخففة من الثقيلة، وإن دل علم، الظن فهم، المصدرية الناصبة للمضارع، وقد جرى الظن مجرى اليقين، وعندها السياق هو الفيصل؛ يقول سيبويه: "فأما ظَنَنْتُ وَحَسِبْتُ وَخَلْتُ ورَأَيْتُ فَإِنَّ أَنْ تكون فيها علم، وجهين: علم، أنها تكون أن التمه، تنصب الفعل، وتكون أن الثقيلة. فإذا رفعت قلت: قد حسبت أن لا يقول ذلك، وأرى أن سيفعل ذلك. ولا تدخل هذه السين في الفعل ههنا حتى تكون أنه" (سيبويه، 1973 : 3 / 166) وكأنّ المقصود من كلام سيبويه أنّ أفعال الظن تأتي بعدها أن المصدرية، وأن المخففة من الثقيلة، فإذا وقع الفعل مرفوعاً بعد أن فهم، المخففة، بشرط وجود الفاصل، واستشهد بقوله تعالى: ((وَحَسِبُوا أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةً)) (المائدة : 73) علم، إجراء الظن مجرى اليقين. يقول: "كأنك قلت: حسبت أنه لا يقول ذلك؛ وإنما حسنت أنه ههنا لأنك قد أثبتت هذا في ظنك كما أثبتته في علمك، وأنت أدخلته في ظنك علم، أنه ثابت الآن كما كان في العلم" (سيبويه، 1973 : 3 / 166) وقد قرئت الآية بالنصب ((وحسبوا أن لا تكون فتنة)) وتوجيه قراءة النصب حسب جاء بمعناه، وهو الشك، وأن ناصبة للمضارع؛ لأنها تأتي، لأمر غير ثابت، وتوجيه قراءة الرفع حسب جاء بمعنى العلم واليقين، وأن مخففة من الثقيلة؛ لأنها لتأكيد ما بعدها، وهما قراءتان سبعيتان. (القيسي، 1997 : 1 / 416)

ومما سبق يُفهم أنّ دلالة السياق في قولنا: (ظننتُ أنّ لا تفعلُ ذاك) تتضمن معنى، التأكيد والثبات واليقين؛ لأنّ أنّ مخففة من الثقيلة، والفعل بعدها مرفوع، وظنّ جاء بمعنى علم؛ وكأنّ الظنّ استقر في الذهن حتى صار علما. كما يُفهم أنّ دلالة السياق في قولنا: (ظننتُ أنّ لا تفعلُ ذاك) تتضمن معنى التجدد والتغير والظن؛ لأنّ أنّ مصدرية، والفعل بعدها منصوب، وظنّ جاء بمعنى علم.

يقول سيبويه: "إن شئت نصبت فجعلتهن [أى ظن وحسب وخال ورأى] بمنزلة خَشِيتُ وخَفْتُ فتقول: ظننتُ أنّ لا تفعلُ ذاك" (سيبويه، 1973 : 3 / 167) مستشهدا بقوله تعالى: ((تَظُنُّ أَنَّ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)) (القيامة : 24) وبقوله تعالى: ((إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ)) (البقرة : 228) فالفعل ظنّ تضمن معنى خاف وخشي.

ويمكن تلخيص مذهب سيبويه في النقاط الآتية:

1. أفعال اليقين تسبق أن المخففة من الثقيلة، فالمقام مقام يقين وإيجاب.
2. أفعال الظن تسبق أن المخففة من الثقيلة، إذا تضمنت معنى اليقين.
3. أفعال الظن تسبق أن المصدرية؛ لأن ما بعدها مشكوك في وقوعه.
4. أفعال الظن تسبق أن المصدرية؛ لأنها تتضمن معنى الخوف.

يقول سيبويه: "وانما منع خَشِيتُ أنّ تكون بمنزلة خُلْتُ وظَنَنْتُ وعَلِمْتُ إذا أردت الرفع أنك لا ترد أنّ تخبر أنك تخشى شيئا قد ثبت عندك، ولكنه كقولك: أرجو، وأطمع، وعسى. فأنت لا توجب إذا ذكرت شيئا من هذه الحروف، ولذلك ضعُفَ أرجو أنّك تفعل، وأطمع أنك فاعل. ولو قال رجل: أخشى أنّ لا تفعل، يرد أنّ يُخبر أنه يخشى أمرا استقرّ عنده أنه كائن، جاز. وليس وجه الكلام." (سيبويه، 1973 : 3 / 167) وبهذا يتأكد أن الخشية والخوف يكونان من أمر لم يحدث بعد، وأحسب أنّ الإرادة مثلها؛ فقولك: أردت أنّ أقوم. القيام فيه لم يحدث بعد، وليس وجه الكلام أن تقول: أردت أنّ أقوم.

وبناء على ما سبق فإنّ قراءة رفع الفعل (يتم) بعد فعل الإرادة تكون جائزة إذا استقرّ عند فاعلها حدوث الإتمام، وحدث الإتمام ليس واجبا في الإرضاع. والسياق العام في قوله تعالى:

((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْتَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) (البقرة : 231)

يؤيد دلالة التجدد والتغير، فضلا عن أنّ دلالة الإرادة بعيدة عن دلالة اليقين، وجملة (أراد أن يتم الرضاعة) الفاعل فيها يعود على من الموصولة، والآية تخبر أن الفاعل أراد شيئا ليس مستقرا عنده، وهو إتمام الرضاعة؛ فقد يحدث إتمام الرضاعة وقد لا يحدث؛ لأنّ الآية عيّنت الحد الأقصى للرضاعة فقط؛ وخيرت في إتمامها.

وجاء في التفسير : "وقوله تعالى، ((المن أراد أن يتم الرضاعة)) دليل على أن إرضاع الحولين ليس حتما فإنه يجوز الفطام قبل الحولين، ولكنه تحديد لقطع التنازع بين الزوجين في مدة الرضاع، فلا يجب على الزوج إعطاء الأجرة لأكثر من حولين. وإن أراد الأب الفطم قبل هذه المدة ولم ترض الأم لم يكن له ذلك. والزيادة على الحولين أو النقصان إنما يكون عند عدم الإضرار بالمولود وعند رضا الوالدين." (القرطبي : 3 / 162)

وخلاصة القول في هذا المقام أنّ إتمام الرضاعة ليس حتما، فهو أمر غير ثابت عند الفاعل، ولا يجوز أن تأتي بعده المخففة من الثقلية؛ وبذلك إن صحَّ رفع الفعل (يُتِمَّ) فعلى إهمال أن المصدرية.

وجدير بالذكر أنّ المبرد (ت. 285 هـ) تبع سيبويه في أنّ الفعل المرفوع تسبقه أن المخففة قبلها فعل قلبي مانعا لإلغاء عمل أن. (المبرد : 1 / 30 — 32) أما ثعلب (ت. 291 هـ) فأنشد في مجالسه:

أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكَمَا مِنْ السَّلَامِ وَأَلَّا تُخْبِرَا أَحَدَا

وقال: "هذه لغة، تُشَبَّه بما" (ثعلب: 322) أي تشبيهه أنّ بما في أنها لا تنصب. وثعلب من نحاة الكوفة (النديم : 110) ؛ ولم يخالف مذهب سيبويه البصري؛ وإنما حاول تأويل النص.

وسأل ابن جني (ت. 392 هـ) أستاذه أبا علي الفارسي عن أن قول الشاعر:

إِنْ تَحْمَلَا حَاجَةً لِي خَفَ مَحْمَلُهَا تَسْتَوْجِبَانِ نِعْمَةً عِنْدِي بِهَا وَيَدَا
أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكَمَا مِنْ السَّلَامِ وَأَلَّا تَعْلَمَا أَحَدَا

"فقال: هي مخففة من الثقلية؛ كأنه قال: أنكما تقرآن، إلا أنه خَفَّفَ من غير تعويض"

ونقل قول أحمد بن يحيى ثعلب: "شَبَّه (أَنْ) بِ (مَا) فلم يعملها كما لم يعمل (مَا)." (الخصائص: 1 / 331 - 332) وعرض هذه المسألة في سر صناعته؛ فقال في قول الشاعر:

أَنْ تَهْبِطِينَ بِلَادِ قَوْمٍ يَرْتَعُونَ مِنَ الطَّلَاحِ

"هذا على تشبيهه (أَنْ) بِ (مَا) التمهيد، في معنى المصدر على قول الكوفيين، فأما على قولنا نحن فإنه أراد الثقلية، وخففها ضرورة، وتقديره: أنك تهبطين." (2 / 20)

وجدير بالملاحظة أنّ ابن جني، ينسب تشبيهه أنّ بما هنا للكوفيين، وفي موضع آخر من الكتاب نفسه ينسبه للبغداديين؛ حيث يقول: "سألت أبا علي عن قول الشاعر : أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ فقلت له: لِمَ رفع تقرآن؟ فقال: أراد أنّ الثقلية، أي أنكما تقرآن، هذا مذهب أصحابنا،

وقرأت علم، محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى، في تفسير أن تقرأ، قال: شَبَّه أن بما؛ فلم يعملها في صلتها، وهذا مذهب البغداديين." (سر الصناعة : 2 / 103)

وأيد مذهب أصحابه بأن أن لا تشبه ما، لأن المصدرية وفعلها تقع للمضمر، والاستقبال، ولا تقع للحال، نحو: سرني، أن قام زيد، ويسرني، أن يقوم غدا، ولا يقال: يسرني، أن يقوم، وهو في حال القيام. أما (ما) المصدرية وفعلها فهم، للحال دائما، نحو: ما تقوم حسن؛ أي قيامك الذي أنت عليه حسن، مستبعدا التشبيه بين أن وما المصدريتين، ونقل قول أبي، علم، الفارسي: " وأول، أن المخففة من الثقيلة الفعل بلا عوض ضرورة" (سر الصناعة : 2 / 104) (المنصف: 1 / 278) وقال: "وهذا على كل حال وإن كان فيه بعض الصنعة أسهل مما ارتكبه الكوفيون." (سر الصناعة : 2 / 104)

ولعل ابن جنه، يقصد بالصنعة عند أستاذه التأويل لإلحاق ماخرج عن قواعد النحويين بما تقرّر عندهم أصلا من الأصول؛ حيث يوضح كلام أبي، علم، عن ضرورة أن تلم، أن المخففة الفعل دون فاصل بقوله: "هذا أيضا من الشاذّ عن القياس والاستعمال جميعا؛ إلا أن الاستعمال إذا ورد بشيء أخذ به، وترك القياس، لأن السماع يُبطل القياس." (المنصف: 1 / 279)

وجدير بالتنبيه هنا أن أبا علي الفارسي المتوفى قبل عام 370 من الهجرة من نحاة البصرة. (النديم : 95)

وبعد... فيمكن تلخيص موقف النحويين في النقاط الآتية:

1. نصّ سيبويه علم، قاعدة تخفيف أن ورفع الفعل بعدها مع وجود فاصل، وقبل أن فعل دال على اليقين والإيجاب، وتبعه المبرد.
2. لم يخالف ثعلب سيبويه في تأويله رفع الفعل بعد أن؛ لأن في، قول الشاعر : أن تقرأ جاء الفعل مرفوعا بعد قوله: أن تحملا حاجة.. والفعل (تحملا) غير دال على اليقين، فحمل الرسالة غير ثابت الحدوث؛ فلا تناسيه المخففة من الثقيلة، وكذلك لا يوجد فاصل بين الفعل المرفوع وأن؛ ولهذا استبعد عند ثعلب أن تكون مخففة من الثقيلة، ولم يجد أمامه إلا أن تكون المصدرية الناصية للمضارع؛ ولكنها جاءت غير عاملة.
3. أبو علي الفارسي فسر رفع الفعل في، قول الشاعر : أن تقرأ.. بأن أن مخففة من الثقيلة؛ كأنه قال: أنكما تقرأ دون وجود فاصل. وهنا خالف الفارسي، قاعدة سيبويه.
4. جعل ابن جنه، تشبيه أن المصدرية بما المصدرية في إهمال العمل مذهب الكوفيين وفي موضع آخر جعله مذهب البغداديين.
5. اتضح مذهب أبي، علم، الفارسي، في جواز رفع الفعل بعد أن المخففة من الثقيلة، وهي غير مسبوقة بفعل دال على اليقين، وغير مفصولة عن الفعل المرفوع بفاصل.

خاتمة

انتهى البحث بالوصول إلى النتائج الآتية:

1. لا وجود لقراءة رفع الفعل (يتم) في قوله تعالى: ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) حيث لم تثبت في كتب القراءات والتفسير، فضلاً عن اختلاف النحويين فيها، وفي نقلها، وكل ذلك يؤكد وجود الخطأ والتحريف من قبل النحويين.
2. أول من ذكر قراءة رفع الفعل ((يُتِمَّ)) الزمخشري، ولم ينسبها في كتابه الموسوم بالكشاف، فهو غير مختص بنقل القراءات وتوثيقها، ونسبها لمجاهد في كتابه الموسوم بالمفصل.
3. لم يكن ابن عقيل أول من استشهد بقراءة رفع الفعل في قوله تعالى: ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) من النحويين، ولكنه تبع في ذلك الزمخشري كما تبعه الأنباري وابن مالك، وشرح الألفية.
4. كانت قراءة رفع الفعل في قوله تعالى: ((أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)) مخالفة لأصول النحو في كتاب سيبويه؛ فموطن الاستشهاد المتمثل في رفع الفعل بعد أَنْ دون فاصل في غير سياق اليقين والإيجاب ليس موجوداً في الكتاب الذي يعد أول سفر مكتوب وصل إلينا في صورة تكاد تكون كاملة في العربية.
5. لم يكن بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة خلاف حول مسألة رفع الفعل بعد أَنْ دون فاصل في غير سياق اليقين والإيجاب، وكل ما حدث أَنْ ثعلب وهو من نحاة الكوفة فسّر رفع الفعل في هذه المسألة بحمل أَنْ على ما المصدرية المهملة، وجاء أبو علي الفارسي وفسر رفع الفعل فيها بأنها مخففة من الثقيلة.
6. بدت مسألة رفع الفعل بعد أَنْ دون فاصل في غير سياق اليقين والإيجاب مسألة خلاف بين النحويين البصريين والكوفيين عند ابن مالك وشرح الألفية؛ حيث جعلوا رأي البصريين في رفع الفعل (يتم) أَنْ أَنْ الناصبة للمضارع أهملت، وجعلوا رأي الكوفيين أَنْ أَنْ مخففة من الثقيلة.
7. ثبت أَنْ خلاف النحويين البصريين والكوفيين ليس حقيقة، وكل ما ذكر في تفسير رفع الفعل بعد أَنْ دون فاصل في غير سياق اليقين والإيجاب منسوباً للبصريين والكوفيين خطأ وتحريف؛ ففي القرن الرابع الهجري نُقِلَ عن البصريين رأيهم المتمثل في أَنْ أَنْ مخففة من الثقيلة، أما الكوفيون فعندهم أَنْ الناصبة للمضارع وأهملت لمشابتها ما المصدرية. وفي القرن السابع الهجري البصريون عندهم أَنْ الناصبة للمضارع وأهملت لمشابتها ما المصدرية، والكوفيون عندهم أَنْ مخففة من الثقيلة.

مصادر البحث ومراجعته

1. د. أحمد العمراني: موسوعة مدرسة مكة في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط: 1، 2011م.
2. الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين.
3. د. إميل بديع يعقوب المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط: 1، 1996م.
4. الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: 4، 1961م.
5. الأهوازي، أبو علي الحسن بن إبراهيم: مفردة ابن محيصة المكي، تحقيق: د. عمار أمين الددو، مجلة الأحمدية، العدد: 23، محرم 1427 هـ.
6. البغدادي، عبد القادر بن عمر: شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف دقاق، مكتبة دار البيان، مطبعة زيد بن ثابت دمشق، ط: 1، 1973م.
7. البناء، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
8. ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى: مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، النشرة الثانية، دار المعارف، مصر.
9. ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين.
- سر صناعة الإعراب، تقديم: د. فتحي عبد الرحمن حجازي، تحقيق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة 2004م.
- المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط: 1، 1954م.
10. أبوحيان الأندلسي، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1993م.

11. ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد: مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، القاهرة.
12. الخوارزمي، القاسم بن الحسين: التخمير، شرح المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 1990م.
13. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت. 502هـ) : المفردات في غريب القرآن، حققه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، 2003م.
14. الرضي الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن: — شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط: 2، 1996م.
- شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1982م.
15. الزرقاني: محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1988م.
16. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002م.
17. الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف، دار الكتاب العربي.
18. الزمّلكاني، عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف: كتاب غاية المحصل في شرح المفصل، تحقيق: رسالة ماجستير إعداد الطالبة: أسماء بنت محمد صالح الحبيب، مخطوط في جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، 1424 هـ.
19. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.
20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: همع الهوامع، تحقيق: د. عبد الحميد هندأوي، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين.
21. الصبان، محمد بن علي: حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين.
22. د.صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 11، 1979م.

23. ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
24. ابن عطية، عبد الحق بن محمد بن عطية الأندلسي: تفسير ابن عطية، وزارة الأوقاف القطرية، ط: 2، 2007م.
25. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل: شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2009م.
26. العكبري، أبو البقاء: إعراب القراءات الشواذ، دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1996م.
27. الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م.
28. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
29. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 5، 1997م.
30. مالك بن أنس: المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت.
31. ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله: شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، دار هجر، ط: 1، 1990م.
32. ماهر خضير هاشم: موقف ابن عقيل المصري (ت. 769 هـ) من القراءات القرآنية، مجلة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 18، العدد (2): 2010.
33. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
34. د. محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 2، 2001م.
35. د. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط: 27، 1995م.
36. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، طبعة اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

37. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: إعراب القرآن، النور الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع.
38. النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق: الفهرست، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس.
39. ابن هشام، أبو محمد بن عبد الله جمال الدين الأنصاري:
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: د. هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 3، 1996م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، 1995م.
40. د. يحيى وهيب الجبوري: منهج البحث وتحقيق النصوص، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 1993م.
41. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية.